بن باعوراء أوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الآيات بأن كفر بها ونبذها وراء ظهره فأتبعه الشيطان فلحقه
الشيطان وأدركه وصار قريناً له أو فأتبعه خطواته وقرئ فاتبعه بمعنى فتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين
الكافرين روي أن قومه طلبوا إليه أن يدعو على موسى ومن معه فأبى وقال كيف أدعو على من معه الملائكة فألحوا عليه
ولم يزالوا به حتى فعل ولو شئنا لرفعناه بها لعظمناه ورفعناه إلى منازل الأبرار من العلماء بتلك الآيات ولكنه
أخلد إلى الأرض مال إلى الدنيا ورغب فيها وقيل مال إلى السفالة فإن قلت كيف علق رفعه بمشيئة الله ولم يعلق
بفعله الذي يستحق به الرفع قلت المعنى ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك لأن مشيئة الله رفعه
تابعة للزومه الآيات فذكرت المشيئة والمراد ما هي تابعة له ومسببة عنه كأنه قيل ولو لزمها لرفعناه بها ألا ترى
إلى قوله ولكنه أخلد إلى الأرض فاستدرك المشيئة بإخلاده الذي هو فعله فوجب أن يكون ولو شئنا في معنى ما هو
ما هو فعله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب أن يقال ولو شئنا لرفعناه ولكنا لم نشأ فمثله كمثل الكلب
فصفته التي هي مثل في الخسة والضعة كصفة الكلب في أخس أحواله وأذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله
سواء حمل عليه أي شد عليه وهيج فطرد أو ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك أن سائر الحيوان لا يكون منه اللهث إلا إذا
هيج منه وحرك وإلا لم يلهث والكلب يتصل لهثه في الحالتين جميعاً وكان حق الكلام أن يقال ولو شئنا لرفعناها
ولكنه أخلد إلى الأرض فحططناه ووضعنا منزلته فوضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه أبلغ حط لأن تمثيله بالكلب
في أخس أحواله وأذلها في معنى ذلك وعن [illegible] ينقطع الفؤاد يلهث إن حمل عليه أو لم يحمل عليه وقيل معناه إن وعظته
فهو ضال وإن لم تعظه فهو ضال كالكلب إن طردته لهث وإن تركته على حاله لهث فإن قلت ما محل الجملة الشرطية
قلت النصب على الحال كأنه قيل كمثل الكلب ذليلاً دائم الذلة لاهثاً في الحالتين وقيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه
فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا من اليهود بعدما قرؤوا نعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم في التوراة وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به
فاقصص القصص بلعم الذي هو نحو قصصهم لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته إذا ساروا نحو سيرته وزاغوا شبه زيغه
ويعلمون أنك علمته من جهة الوحي فيزدادوا إيقاناً بك وتزداد الحجة لزوماً لهم ساء مثلاً القوم أي مثل القوم أو [illegible]
مثل القوم وقرأ الجحدري ساء مثل القوم وأنفسهم كانوا يظلمون إما أن يكون معطوفاً على كذبوا فيدخل في حيز الصلة
بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم أنفسهم وإما أن يكون كلاماً منقطعاً عن الصلة بمعنى وما ظلموا إلا أنفسهم
بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص كأنه قيل وخصوا أنفسهم بالظلم لم تتعدها إلى غيرها فهو المهتدي حمل على
اللفظ فأولئك هم الخاسرون حمل على المعنى كثيراً من الجن والإنس هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله أنه لا لطف
لهم وجعلهم في أنه لا يلقون أذهانهم إلى معرفة الحق ولا ينظرون بأعينهم إلى ما خلق الله نظر اعتبار ولا يسمعون ما
يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر كأنهم عدموا فهم القلوب وإبصار العيون واستماع الآذان وجعلهم لإغراقهم في الكفر
وشدة شكائمهم فيه وأنه لا يأتي منهم إلا أفعال أهل النار مخلوقين للنار دلالة على توغلهم في الموجبات وتمكنهم فيما يؤهلهم
لدخول النار ومنه كتاب عمر رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد بلغني أن أهل الشام اتخذوا لك دلوكاً عجن بخمر وإني لأظنكم
آل المغيرة ذرء النار ويقال لمن كان عريقاً في بعض الأمور ما خلق فلان إلا لكذا والمراد وصف حال اليهود في عظم ما
أقدموا عليه من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم أنه النبي الموعود وأنهم من جملة الكثير الذين لا يكاد الإيمان يتأتى منهم
كأنهم خلقوا للنار أولئك كالأنعام في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتدبر بل هم أضل من الأنعام
عن الفقه والاعتبار والتدبر أولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة وقيل الأنعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم
بعض ما تبصره وهؤلاء أكثرهم يعلم أنه معاند فيقدم على النار ولله الأسماء الحسنى التي هي أحسن الأسماء لأنها تدل

على معان

على معان حسنة من تمجيد وتقديس وغير ذلك فادعوه بها فسموه بتلك الأسماء وذروا الذين يلحدون في أسمائه واتركوا
تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الأسماء الحسنى وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا البدو
يقولون بجهلهم يا أبا المكارم يا أبيض الوجه يا سخي أو أن يأبوا تسميته ببعض أسمائه الحسنى نحو أن يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمن
وقد قال الله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ويجوز أن يراد ولله الأوصاف الحسنى وهي
الوصف بالعدل والخير والإحسان وانتفاء شبه الخلق فصفوه بها وذروا الذين يلحدون في أوصافه فيصفونه بمشيئة
القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه كالرؤية ونحوها وقيل إلحادهم في أسمائه تسميتهم الأصنام آلهة
واشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز لما قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً أخبر أن كثيراً من الثقلين عاملون بأعمال أهل النار
أتبعه قوله وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا قرأها هذه لكم وقد أعطي القوم
بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وعنه عليه السلام إن من أمتي قوماً على الحق حتى ينزل عيسى وعن الكلبي هم
الذين آمنوا من أهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة إلى الدين الاستدراج استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد أو الاستنزال
درجة بعد درجة قال الأعشى:

فلو كنت في جب ثمانين قامة ... ورقيت أسباب السماء بسلم
ليستدرجنك القول حتى تهره ... وتعلم أني عنكم غير مفحم

ومنه درج الصبي إذا قارب خطاه وأدرج الكتاب طواه شيئاً بعد شيء ودرج القوم مات بعضهم في إثر بعض ومعنى
سنستدرجهم سنستدنيهم قليلاً قليلاً إلى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم
وذلك أن يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطراً وجددوا معصية فيتدرجون
في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين أن مواترة النعم أثرة من الله وتقريب وإنما هي خذلان منه وتبعيد فهو استدراج
الله نعوذ بالله منه وأملي لهم عطف على سنستدرجهم وهو داخل في حكم السين إن كيدي متين سماه كيداً لأنه شبيه
بالكيد من حيث إنه في الظاهر إحسان وفي الحقيقة خذلان ما بصاحبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم من جنة من جنون
وكانوا يقولون شاعر مجنون وعن قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم علا الصفا فدعاهم فخذاً فخذاً يحذرهم بأس الله فقال
قائلهم إن صاحبكم هذا لمجنون بات يهوت إلى الصباح أولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السماوات
والأرض فيما تدلان عليه من عظم الملك والملكوت الملك العظيم وما خلق الله من شيء وفيما خلق الله مما يقع عليه
اسم الشيء من أجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف وأن عسى أن المخففة من الثقيلة والأصل وأنه عسى
على أن الضمير ضمير الشأن والمعنى أولم ينظروا في أن الشأن والحديث عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ولعلهم يموتون
عما قريب فيسارعوا إلى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مغافصة الأجل وحلول العقاب ويجوز أن يراد باقتراب الأجل
اقتراب الساعة ويكون من كان التي فيها ضمير الشأن فإن قلت بم يتعلق قوله فبأي حديث بعده يؤمنون
قلت بقوله عسى أن يكون قد اقترب أجلهم كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الإيمان بالقرآن قبل
الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا ويذرهم بالياء والنون والرفع
على الاستئناف ويذرهم بالياء والجزم عطفاً على محل فلا هادي له كأنه قيل من يضلل الله لا يهده أحد ويذرهم يسألونك
قيل إن قوماً من اليهود قالوا يا محمد أخبرنا متى الساعة إن كنت نبياً فإنا نعلم متى هي وكان ذلك امتحاناً منهم مع علمهم
أن الله قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش والساعة من الأسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها
بغتة أو لسرعة حسابها أو على العكس لطولها أو لأنها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق أيان بمعنى
متى وقيل اشتقاقه من أي فعلان منه لأن معناه أي وقت وأي فعل من أويت إليه لأن البعض آو إلى الكل متساند إليه
قاله ابن جني وأبى أن يكون من أين لأنه زمان وأين مكان وقرأ السلمي إيان بكسر الهمزة مرساها إرساؤها أو وقت

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)